مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

الأزمة الكازاخستانية ما بين الحراك الداخلي والتدخل الروسي

أحمد خليل أرتيمتي – عماد الشيخ داود

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تهمّ الحقليْن السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وانما تعبر عن رأي كتابُها.

حقوق النشر محفوظة © 2022

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

الأزمة الكازاخستانية ما بين الحراك الداخلي والتدخل الروسي

أحمد خليل أرتيمتي *- عماد الشيخ داود**

توطئة

تصاعدت وتيرة الاحتجاجات الكازاخستانية مع إقبال العالم لدخول عام 2022 حتى أصبحت محط أنظار كل القنوات ووسائل التواصل الاجتماعية والشغل الشاغل للباحثين والمحللين السياسيين، لما لها من تداعيات على مستقبل الصراعات الإقليمية والدولية في محيط آسيا الوسطى، وكازاخستان هي إحدى أواخر الجمهوريات التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي، وتقع بين روسيا والصين، وهي أكبر دولة غير ساحلية في العالم، وأكبر من أوروبا الغربية بأكملها، ويبلغ عدد سكانها حوالي 19 مليون نسمة، وهي تمثِّل أهمية كبرى للدول الساعية لتمديد نفوذها السياسي والاقتصادي في المنطقة، منها روسيا التي تعدُّها أحد أهم المناطق الحساسة في تاريخ الدولة الروسية منذ أواسط القرن الثامن عشر وحتى ثورة «أكتوبر» عام 1917 إذ تستحوذ على مميزات وموارد جغرافية وجيوسياسية تمتدُّ لثبات الأنظمة السياسية في روسيا، ففي الوقت الذي تمثِّل الصادرات الكازاخستانية نسبة 60% من الصادرات في دول آسيا الوسطى، فضلاً عن امتلاكِها ثروات طبيعية كالنفط والغاز والمعادن[1] تضاهي بها دول الخليج، ناهيك عن ذلك فإنَّها كانت أرضاً مناسبةً لحقول تجارب السلاح النووي إبَّان حقبة «السوفييت»، ويسكناها كازاخية أغلبهم، فضلاً عن عديدٍ من القوميات والأديان الأخرى، وبعد إعلانها جمهورية مستقلة عقب تفكُّك الاتحاد السوفيتي تبنَّت نظاماً رأسمالياً ومجلسين من (النواب والشيوخ)، فضلاً عن حكومة تدير أمور البلاد، وترأسها «نور سلطان نزارباييف»[2]منذ عام 1989، وحتى 2019، ويرى المختصين في الشأن

1. تمتلك كازاخستان ثاني أكبر احتياطات من اليورانيوم والكروم والرصاص والزنك، وثالث أكبر احتياطي من المنغنيز، وخامس أكبر احتياطي من النحاس، وهي من بين العشرة الأوائل في احتياطات الفحم والحديد والذهب، ووفقاً للبنك الدولي، تحتلُّ كازاخستان المرتبة العاشرة في العالم من حصة رأس المال الطبيعي غير المتجدِّد (النفط والغاز والمعادن) في إجمالي ثروة البلاد نحو 27%.

2 . نور سلطان نزارباييف (من مواليد 6 حزيران 1940، كازاخستان، الاتحاد السوفياتي)، إصلاحي سعى للحصول على حكم ذاتي إقليمي لجمهوريته في آسيا الوسطى، تخرَّج من مدرسة فنية في قرهغاندي في كازاخستان (1967) عمل عاملَ صلب ومهندس في مصنع، انضم إلى الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي (CPSU) في عام 1962 أصبح رئيس مجلس الوزراء الكازاخستاني (1984–1989)، وفي عام 1990 انتخب مجلس السوفيات الأعلى في كازاخستان نزارباييف رئيساً للجمهورية، وفي كانون

* باحث في الشأن الروسي. ** باحث في مجال السياسات العامة.

الكازاخستاني أنَّ النظام قد شرَّع عديداً من القوانين التي منعت أي توجه يخالف الرؤية الحكومية وردعته، ويُقمعُ أي كيان أو تيار يسعى للخروج عن السياقات المنفردة، وبهذا فهي عُدَّتْ من الأنظمة القامعة للحريات والممارسات السياسية المختلفة، وقد برزت الأزمة الكازاخستانية بعد عام 2019.

الأول من عام 1990 أعلنت كازاخستان استقلالها الكامل عن الاتحاد السوفيتي، سمح استفتاء عام 1995 بتمديد فترة نزارباييف في منصبه إلى عام 2000، ومرة أخرى في عام 2005، وفي عام 2007 أدى تعديل دستوري إلى إعفاء نزارباييف شخصياً من فترة الرئاسة بفترتين، وفي نيسان 2011 في مواجهة معارضة رمزية، انتُخِبَ نزارباييف لولاية أخرى بأكثر من 95 في المئة من الأصوات، وفي عام 2015 انتُخِبَ نزارباييف لفترة أخرى رئيساً، وبالنتيجة نفسها من الأصوات، بدأ الانتقال البطيء للسلطة من حكم نزارباييف الطويل إلى جيل جديد في منتصف عام 2010. في عام 2017، قدَّم مجموعة من التعديلات الدستورية التي منحت السلطة للبرلمان ومجلس الوزراء في محاولة واضحة لضمان أن يكون الانتقال سهلاً، استقال من منصبه كرئيس في 19 آذار 2019، لكنه احتفظ في البداية بمناصب رئيسة في صنع السياسة، بما في ذلك قيادته للحزب الحاكم ومجلس الأمن فضلاً عن تعيينه الدستوري بوصفه زعيماً للأمة، وفي نهاية المطاف، سلَّم قيادة الحزب إلى خليفته المختار، قاسم جومارت توكاييف، في أواخر عام 2021. وعُزِلَ نزارباييف من رئاسة مجلس الأمن في أوائل عام 2022 بعد احتجاجات طالبت بالإطاحة به. من الموقع الإلكتروني: https://www.britannica.com/biography/Nursultan-Nazarbayev

جذور الأزمة (احتجاجات عام 2019)

بدأت الاحتجاجات في كازاخستان منذ مطلع شباط من عام 2019 إثر حادث حريق لعائلة في العاصمة نور سلطان[3] ممَّا أدَّى إلى مصرع خمسة أفراد من عائلة واحدة في الوقت الذي كان رب الأسرة في مهمة عمل ليلية، بدأت شرارة الاحتجاجات المجتمعية إثر ذلك الحادث، وبعد أسبوعين زادت وتيرة تلك الاحتجاجات نتيجة تراكم الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في كازاخستان، وشملت تظاهرة في مدينة «نور سلطان» إبَّان مناسبة عامة لعمدة المدينة «بختي سلطانوف»، ممَّا دعا الرئيس «نور سلطان» إلى اتخاذ عديد من القرارات للحيلولة دون تصعيد تلك المطالبات، ومنها إقالة رئيس الحكومة «بخيتشان ساجينتاييف» آنذاك ليحلَّ محلَّه رئيس مجلس الشيوخ في البرلمان «قاسم جومارت توكاييف»، ومع هذه الإصلاحات إلا أنَّ ذلك لم يصل مستوى طموح المحتجين، وبهذا أقدم الرئيس الكازاخستاني «نور سلطان نزارباييف» على التنحي من السلطة في 19 آذار من عام 2019 ليشغل محله «قاسم جومارت توكاييف»، الذي يعدُّه المجتمع الكازخستاني بالنائب أو الشبيه لـ«نزار باييف»، فقرار تنحي «نزار باييف» عدَّتها الصحف العالمية على أنَّها طفرة نوعية في تنقل السلطة سلمياً في تاريخ كازخستان السياسي[4]، إلا أنَّ ذلك لا يعني ترك تاريخه السياسي بل استنشطَ ليشغل مناصب حكومية وسياسية حسَّاسة منها رئيس لجنة الأمن القومي، فضلاً عن زعامة حزب (نور أتان) وحصل على حق النقض عند تعيين معظم الوزراء وحكام المقاطعات وعدد قليل من كبار المسؤولين الآخرين[5].

3. نور سلطان وآستانا سابقاً (لفظ أستانة غير دقيق) هي عاصمة كازاخستان منذ عام 1998. أنشأها الرئيس نور سلطان نزارباييف بعد استقلال كازاخستان لتصبح عاصمة البلاد بدلاً من مدينة آلما أتا الحدودية. معنى كلمة أسطانا هو "العاصمة". يبلغ عدد سكانها 780 ألف نسمة.

4. Kazakhstan election: Rare protests in a country that bans dissent,by Abdujalil Abdurasulov, BBC News, Almaty, 7 June, 2019, https://www.bbc.com/news/world-asia-48545166.

5 . Revolt in Kazakhstan: What's Happening, and Why It Matters, by Dan Bilefsky, The New York Times, Jan. 5, 2022: https://www.nytimes.com/2022/01/05/world/asia/kazakhstan-protests.html.

ومع تولى «قاسم جومارت توكاييف» دعا إلى انتخابات مبكرة في 9 حزيران 2019، فاز فيها بأكثر من 70% من الأصوات[6]، وشهدت مدَّة ما قبل الانتخابات وما بعدها عديداً من الاحتجاجات التي أسفرت عن اعتقال الآلاف من المتظاهرين، فضلاً عن اعتقال عدد من الصحفيين الذين كانوا يصوِّرون الانتخابات على أنَّها مسرحية تغيرت فيها الأشكال دون الأدوار الحقيقية، وعقب إعلان النتائج الأولية، بُلِّغَ عن احتجاجات في أكبر مدينتينِ في كازاخستان وهما (نور سلطان، وألماتي). فيما أعلن نائب وزير الداخلية «مارات كوزاييف» أنَّه أُلْقِيَ القبض على (500) شخص، ومع التشكيك زعماء الأحزاب المعارضة بعدد المعتقلين لتكون أكثر من ضعف ما أُعْلِنَ عنه رسمياً، ومع تنصيص قانون الدولة بعدم قانونية التظاهرات العامة ما لم تأذن بها الحكومة، إلا أنَّ «توكاييف» أعلن عن نيته تعديل القوانين التي تقرُّها[7]، وعلى ما يبدو أدرك الرئيس «نور سلطان» عدم مقبوليته في المجتمع الكازاخستاني بصورة واضحة ممَّا أجبره على التنحِّي من تلك المناصب التي تشكِّل واجهة صعبة لهُ، لذا أقدم على التنحِّي من رئاسة حزب (نور أتان) في تشرين الثاني من عام 2021 لرئيس الدولة الحالي «قاسم جومارت توكاييف» وأشار «نزارباييف» عند إعلانه عن قراره هذا، إلى وجوب أن يكون رئيس الدولة هو الذي يتولَّى رئاسة الحزب[8].

ارتفاع سعر الغاز المسال بداية لثورة ملونة

دخلت كازاخستان عام 2022 بموجة من الاحتجاجات المناهضة للحكومة والسياسات التي تتبناها فاندلعت احتجاجات وأعمال فوضى كان شرارتها رفع أسعار الغاز، ومع أنَّ شرارة الاحتجاجات بدأت في منطقة «مانغيستاو» الواقعة غرب البلاد، إلَّا أنَّها انتقلت بسرعة إلى مناطق أخرى من الجمهورية، بما فيها العاصمة الحالية «نور سلطان»، والسابقة «ألمآتا».

وندَّد المحتجون بارتفاع سعر الغاز المسال فجأةً بنسبة 100%، ناهيك عن ارتفاع تدريجي لأسعار المواد الغذائية والكهرباء ارتفاعاً ملحوظاً، فضلاً عن عديدٍ من العوامل التي ساهمت مساهمةً كبرى في دفع المحتجين الى زيادة وتيرة أنشطتهم؛ وفي مقدمتها الفساد المستشري في ملف إدارة البترول والثروات الطبيعية التي لم تعطِ ما يكفي لتقديم المساعدات للسكَّان، إذ جاء ترتيب البلاد

6. الحزب الحاكم في كازاخستان يفوز في الانتخابات التشريعية، في غياب أي حزب معارض مرخَّص به، مجلة إيلاف الإلكترونية، 10 كانون الثاني 2021، https://elaph.com/Web/News/2021/01/1316150.html

7. ويكيبيديا- الاحتجاجات الكازاخستانية

8. كازاخستان: نزارباييف يسلم رئيس الدولة صلاحياته بوصفه رئيساً للحزب الحاكم، أرتي أونلاين، 23/11/2021: https://arabic.rt.com/world/1297109

في مؤشِّر مدركات الفساد لعام 2020 في المرتبة 94 من 180 دولة وهي نسبة متدنية طبقاً للشفافية الدولية[9].

من جهة أخرى يرى كثير من الخبراء أنَّ الاحتجاجات ما هي إلا نتيجة عكسية للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية العميقة التي تكمن في صلب المجتمع الكازاخستاني، وأنَّ الاحتجاج على ارتفاع أسعار الوقود ليس سوى ذريعة للتعبير عن عدم الرضا عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي المتدهور، فقد جرت الاحتجاجات في مدن لم تحدث فيها زيادة في أسعار الغاز.

ومن جانب آخر سعى الرئيس الكازاخستاني «توكاييف» إلى احتواء هذه الأزمة بسلسلة من الإجراءات الاحترازية والحيلولة دون توسُّع تلك الاحتجاجات إلى مناطق أخرى في البلاد:

- بدء حملات اعتقالات من قبل قوات الأمن في العاصمتين الرسمية والتجارية (نور سلطان، وألماآتا) وصلت قرابة (10000) شخص، فضلاً عن مقتل أكثر من (40)[10].
- استخدام القوة المفرطة ضد المتظاهرين والإيعاز لأجهزة الأمن بـ"إطلاق النار» دون سابق إنذار «معبِّراً عن رفضه إجراء أي محادثات مع المحتجين، واصفاً إيَّاهم بالمجرمين والقتلة.
- تقديم حكومة عسكر «مامين» استقالتها للرئيس «قاسم جومرات توكاييف» الذي كلَّف في المقابل «علي خان إسماعيلوف» نائب رئيس الوزراء بتصريف الأعمال ريثما تُشكَّل حكومة جديدة.
- إعلان «توكاييف» في خطاب عاجل للأمة ترؤسه لمجلس أمن الجمهورية والذي شغله قبل ذلك الرئيس السابق «نور سلطان نزارباييف».
- إعلان حالة الطوارئ في عدد من المدن[11].
- فتح تحقيق أزاء أصحاب محطات الوقود، بما وصفتها بـ»مؤامرة رفع الأسعار».

9. https://www.transparency.org/en/countries/kazakhstan

10. لسلطات في كازاخستان تعلن اعتقال نحو 10 آلاف شخص وأضرار بقيمة 220 مليون دولار، ارتي اونلاين، 11/1/2022: https://arabic.rt.com/world/1313034

11. الجزيرة نت : https://www.aljazeera.net

- توجيه دعوة رسمية إلى منظمة معاهدة الأمن الجماعي[12] لإرسال قوات حفظ سلام إلى البلاد، إذ وصلت أكثر من (70) طائرة تحت مسمى (قوات حفظ السلام) بكازاخستان، وضمَّتِ القوة نحو (1000) فرد من روسيا وفي بيان للمنظمة، ليست مهمة هذه القوة قمع المحتجين، بل مساعدة النظام الكازاخستاني في حماية منشآتها الحيوية كما حدث في مطار «ألماتي»، إذ تمثِّل الأحداث في هذا البلد تهديداً حقيقياً لأمن الدولة وسيادتها[13].

الموقف الروسي والأميركي

تابعت عديد من القوى الدولية تسلسل الأحداث منذ اندلا ع الاحتجاجات الكازاخستانية وبدت مواقفها بصورة صريحة، وَفْق التطورات الجارية في الشارع الكازاخستاني ومنها:

- **روسيا الاتحادية:**

يظهر الموقف الروسي من الأحداث الأخيرة في كازاخستان وبلاروسيا وأوكرانيا سابقاً تطابقاً مثيراً مع الفكر الروسي (السوفيتي) التاريخي تجاه المصالح الأمنية والسياسة الخارجية، فقد أبدت روسيا سلوكاً يسعى لتحقيق أهداف تتماشى جيداً مع مصالحها التاريخية، إلا أنَّ ذلك السلوك يتسم بالقيام بأعمال غير ضرورية حدَّت من قدرتها على تحقيق تلك الأهداف بدلاً من تعزيزها، وتفسيراً لهذا الانحراف يتمثَّل في أنَّ السياسة الخارجية الروسية اليوم تتأثَّر أيضاً بعوامل أخرى، وأكثرها أهمية هو الدور الذي يلعبه الرئيس «بوتين» من دون منازع في صنع السياسات ورأيه الشخصي بشأن الأحداث الأخيرة في كازخستان وأوكرانيا وبلاروسيا.

12. ترجع أصولها إلى معاهدة الأمن الجماعي، الموقعة في عام 1992 كمتابعة لكومنولث الدول المستقلة، التي تشكلت بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، تضم منظمة معاهدة الأمن الجماعي حالياً ستة أعضاء –روسيا، وأرمينيا، وبيلاروسيا، وكازاخستان، وقيرغيزستان، وطاجيكستان، وتعمل منظمة معاهدة الأمن الجماعي على بناء قدرتها منذ العقد الأول من **القرن الحادي** والعشرين– جزئياً كرد فعل على الوجود العسكري الأمريكي في آسيا الوسطى، سنَّتِ الإطار القانوني للقواعد العسكرية الروسية في قيرغيزستان وطاجيكستان، وسمحت للأعضاء بشراء أسلحة بأسعار محلية روسية واتبعت نظام دفاع جوي مشترك. تتأثر صناعة القرار تأثُّراً كبيراً بروسيا، لكن الدول انضمت ثم انسحبت (انضمت أوزبكستان في عام 2006 ثم انسحبت مرة أخرى في عام 2012). تتميز المنظمة برئاسة دورية وتجمع بين البرلمانات( ) وللمزيد من التفاصيل انظر:
Kazakhstan called for assistance. Why did Russia dispatch troops so quickly?, Alexander Cooley, 9/1/2022: www.washingtonpost.com/politics/

13. أميركا تراقب والصين تؤيد.. 70 طائرة روسية أنزلت قوات للتدخل بكازاخستان والرئيس يتعهَّد بسحق الاحتجاجات، الجزيرة نت، 7/1/2022: الموقع الإلكتروني: https://www.aljazeera.net/news/politics/2022/1/7

وفي الحديث عن الاحتجاجات في كازاخستان مطلع عام 2022 تماثل الدور الروسي في سياستها اتجاه الأزمات التي جرت مؤخراً في الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتي، إذ راقبت عن كثب التطورات الجارية في كازاخستان وتواصلت مع الرئيس الكازخستاني «توكاييف» منذ بدء شرارة الاحتجاجات وقد أبدت نصائح وتوجيهات لمواجهة المحتجين واحتواء مظاهر المواجهة مع القوات الأمنية الساعية لكبت تلك الأصوات المنددة بمنهجية إدارة الدولة، فقجد تميَّزت كازاخستان بالاستقرار السياسي منذ نحو 30 عام خلافاً للجمهوريات السوفيتية السابقة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وخشيت من تدخلات الولايات المتحدة و»حلف الناتو» كما حدث في أوكرانيا التي تعدُّها من الدروس المؤلمة والمستفادة لروسيا، إذ أعرب «قسطنطين زاتولين» النائب الأول لرئيس لجنة مجلس الدوما لشؤون رابطة الدول المستقلة «عن استبعاد تكرار السيناريو في كازاخستان عمَّا حدث في «الميدان» في أوكرانيا؛ لأنَّ الحكومة في «نور سلطان» أكثر صرامة ممَّا هي عليه في كييف».

فروسيا اليوم أصبحت تشكِّك في أي خطوة سياسية في دول الجوار وتسعى إلى الانفراد في سيناريوهات التي تخدم مصالحها، وخصوصاً مع كازاخستان التي تربطها أطول حدود بين جميع جيرانها، لذا أعلنت الخارجية الروسية وبصورة صريحة أنَّها تتابع عن كثب تطورات الأحداث في كازاخستان، وأعربت في بيان لها عن الأمل في عودة الأوضاع إلى طبيعتها[14]، وقالت إنَّ ما يجري في كازاخستان محاولة مدعومة من الخارج لتقويض الأمن، وقالت الخارجية الروسية إنَّها تدعم الحل السلمي في هذا البلد لكل المشاكل في إطار القانون وعبر الحوار، وليس عبر الاحتجاج بالشارع وخرق القانون. وصرَّح «ألكسندر جروشكو» نائب وزير الخارجية الروسي بأنَّ بلاده واثقة من قدرة هذه الجارة الكبرى على التعامل مع مشكلاتها[15]، إلا أنَّ تفاقم الأزمة وتصعيدها في المدن الرئيسة وعدم اليقين الواضح بشأن ولاء إنفاذ القانون والقوات العسكرية في كازاخستان لجأ رئيس البلاد «قاسم جومارت توكاييف» إلى تحالف أمني تهيمن عليه روسيا، وهو «منظمة معاهدة الأمن الجماعي» للحصول على المساعدة.

14. الأزمة في كازاخستان.. هل باتت روسيا أمام خطر تكرار السيناريو الأوكراني؟، الجزيرة نت، 6/1/2022: الموقع الالكتروني:www.aljazeera.net/news/politics/2022/1/6

15. أميركا تراقب والصين تؤيد.. 70 طائرة روسية أنزلت قوات للتدخل بكازاخستان والرئيس يتعهد بسحق الاحتجاجات، الجزيرة نت، الموقع الالكتروني: www.aljazeera.net/news/politics/2022/1/7/بعد-مواجهات-دامية-رئيس-كازاخستان-يعلن

وفي السادس من كانون الثاني أعلنت المنظمة استعدادها لقبول طلب المساعدة، وانطلقت طائرات محملة بوحدات النخبة الروسية المحمولة متجهة إلى كازاخستان، وقال «شهرات نوريشيف» نائب وزير الخارجية الكازاخستاني أنَّه نُشِرَ (1000) عنصر من قوات حفظ السلام التابعة لمنظمة معاهدة الأمن الجماعي[16]، وبهذا نرى أنَّ روسيا قد بادرت في احتواء الأزمة الكازاخستانية للحيلولة دون تكرار السيناريو الأوكراني، من حيث فتح جبهة من التنافسات الدولية وإشغالها عن سائر الشؤون الإقليمية والدولية، فضلاً عن أنَّها ادركت أنَّ هناك مؤامرةً تحييد جغرافية قد تحاك، ولكن على صورة لعبة الدومينو لكل الجمهوريات المستقلة، وتبدأ تحت مسميات احتجاجات ومعالم فوضى جماهيرية، ومن ثَمَّ تؤدِّي إلى تغيير الأنظمة السياسية غير الموالية لروسيا والمضرة لمصلحتها القومية.

- **الولايات المتحدة الأمريكية:**

بعد تفكُّك الاتحاد السوفيتي عام 1991، كانت الولايات المتحدة الأمريكية، أول دولة تعترف باستقلال كازاخستان. إذِ افتتحت الولايات المتحدة سفارتها في «ألماآتا» في شباط 1992 ثم انتقلت في عام 2006 إلى أستانا (نور سلطان الآن)[17]، وفي السنوات التي تلت استقلال كازاخستان، طوَّر البلدانِ علاقة ثنائية قوية وواسعة النطاق في مجالات عدَّة، وخصوصاً في مجال الأمن ومنع الانتشار النووي، كما يتضح من مشاركة كازاخستان في قمم الأمن النووي في واشنطن العاصمة (2010 ، 2016) ، وسيول (2012)، ولاهاي (2014)، أظهرت كازاخستان زمام القيادة حينما تخلَّت عن أسلحتها النووية في عام 1993 وأغلقت موقع اختبار «سيميبالاتينسك» (STS)، وساعدت الولايات المتحدة كازاخستان في إزالة الرؤوس الحربية النووية والمواد الصالحة لصنع الأسلحة والبنية التحتية الداعمة لها، أمَّا من الناحية التجارية فتعدُّ كازاخستان هي الشريك التجاري الحادي والثمانين الأكبر للولايات المتحدة، وبلغ إجمالي التجارة الثنائية 2 مليار دولار في عام 2019. وقد استثمرت الشركات الأمريكية عشرات المليارات من الدولارات في كازاخستان،

16. الأزمة في كازاخستان.. هل باتت روسيا أمام خطر تكرار السيناريو الأوكراني؟، الجزيرة نت، 6/1/2022: الموقع الالكتروني:www.aljazeera.net/news/politics/2022/1/6

17. بعد تفكك الاتحاد السوفيتي عام 1991، أصبحت كازاخستان دولة مستقلة، واتخذت مدينة ألماآتا الحدودية عاصمة لها وفي عام 1997 نُقِلَتِ العاصمة من ألماآتا إلى آكمولا التي تقع وسط البلاد. وفي عام 1998، أطلق على آكمولا اسم أستانة الذي يعني عاصمة في اللغة الكازاخية، أنشأها الرئيس نور سلطان نزارربايف ويبلغ عدد سكانها أكثر من (1000000) نسمة، وفي عام 2019 غُيِّرَ اسم العاصمة إلى أستانا إلى نورسلطان وللمزيد من المعلومات انظر: https://areq.net html .

وتتركَّز في قطاع النفط والغاز مثل «شيفرون، وإكسون موبيل»[18]، ومع اندلاع أعمال العنف والتظاهرات الحاشدة احتجاجاً على زيادة أسعار الغاز الطبيعي المسال في عديدٍ من المدن الكازاخية رأى الخبراء الأمريكان أنَّ موسكو لا تريد أن يقدِّم النظام في كازاخستان تنازلات للمعارضة وللمتظاهرين، في وقت أشارت فيه صحف روسية إلى أنَّ ما يجري في كازاخستان هو «خدعة قذرة تستهدف موسكو» دفع ذلك المتحدثة باسم البيت الأبيض «جين ساكي» للقول: «هناك بعض الادعاءات الروسية المجنونة حول كون الولايات المتحدة وراء هذا، لذلك اسمحوا لي فقط أن أستغلَّ هذه الفرصة لبيان أنَّ ذلك زائف تماماً، ومن الواضح أنَّه جزء من كتاب الخداع الروسي للتضليل الذي رأيناه على مدار السنوات الماضية».

من جانب آخر، أشار بيان صدر عن وزارة الخارجية إلى متابعة الحكومة الأميركية عن كثب تطورات الأوضاع في كازاخستان. وأدان فيها أعمال العنف وتدمير الممتلكات، ودعا السلطات والمتظاهرين إلى ضبط النفس، واحترام المؤسسات الدستورية وحقوق الإنسان وحرية الإعلام والدفاع عنها، بما في ذلك إعادة خدمة الإنترنت. وطالبت الخارجية الأميركية كل الأطراف بالعمل لحل معضلة إعلان الطوارئ في البلاد[19].

وعقب إعلان رئيس الوزراء الأرميني نيكول باشينيان أنَّ مجلس «منظمة معاهدة الأمن الجماعي» قرَّر إرسال قوَّات لحفظ السلام إلى كازاخستان (البلد العضو في المنظمة) على خلفية الاضطرابات الأمنية هناك، أثار هذا الموضوع حفيظة الولايات المتحدة الأمريكية معربة عن قلقها من دخول القوات الروسية إلى كازاخستان وأشارت إلى خطورة هذا الموقف على المستقبل السياسي في كازاخستان، إذ قال وزير الخارجية الأمريكي «أنتوني بلينكن»: إنَّ الولايات المتحدة ما تزال «قلقة للغاية بشأن حالة الطوارئ المستمرة» في كازاخستان، وعندها أسئلة حول طلب البلاد لقوات حفظ السلام من منظمة معاهدة الأمن الجماعي، وأضاف «بلينكن»، في مؤتمر صحفي «يبدو لي أنَّ السلطات والحكومة الكازاخستانية لديها بالتأكيد القدرة على التعامل بشكل مناسب مع الاحتجاجات، للقيام بذلك بطريقة تحترم حقوق المتظاهرين مع الحفاظ على القانون والنظام.

18. u.s. relations with kazakhstan, bilateral relations fact sheet, bureau of south and central asian affairs, january 20, 2021:https://www.state.gov/u-s-relations-with-kazakhstan/

19. العلاقات التاريخية بين أمريكا وكازاخستان.. كيف تطورت وإلى أين وصلت؟!، سبوتنك، 10/1/2022: https://arabic.sputniknews.com/20220110

لذلك ليس هناك سبب واضح يعطي الشعور للحاجة إلى أي مساعدة خارجية». وتابع «بلينكن» أنَّه يأمل في أن تعالج الحكومة الكازاخستانية المشاكل «الاقتصادية والسياسية بشكل أساسي» التي قال إنَّها أدَّت إلى الاحتجاجات، مؤكداً على وجود القوات الروسية في كازاخستان بأنَّه «أحد الدروس المستفادة من التاريخ الحديث هو أنَّه بمجرد وصول الروس إلى بيتكم، يكون من الصعب جداً في بعض الأحيان إقناعهم بالمغادرة'' [20].

وما إن وصلت القوات الروسية إلى كازاخستان حتى دعتِ الولايات المتّحدة، روسيا إلى أن تسحب الجنود الذين أرسلتهم إلى كازاخستان وإلى إلغاء أمر «إطلاق النار للقتل» الذي أصدره للشرطة وقوات الأمن، وقال المتحدِّث باسم وزارة الخارجية الأمريكية «نيد برايس» للصحفيين إنَّ الولايات المتحدة ترحِّب بعودة الهدوء إلى كازاخستان بعد أعمال العنف التي شهدتها في الأسابيع الماضية، والتي لم يسبق للجمهورية السوفييتية السابقة أن رأت مثيلاً لها منذ استقلالها في 1991.

وأضاف: «نرحِّب أيضاً بالإعلان الذي أدلى به الرئيس توكاييف الذي قال إنَّ قوات حفظ السلام التابعة لمنظمة معاهدة الأمن الجماعي أنجزت مهمّتها''. وشدَّد «برايس» على أنَّه «ما دامت قوات منظمة معاهدة الأمن الجماعي لم تنسحب، فسنستمرُّ في دعوتها لاحترام حقوق الإنسان واحترام التزامها الانسحاب سريعاً من كازاخستان تلبية لطلب الحكومة الكازاخية''[21].

ويظهر جلياً أنَّ مخاوف الولايات المتحدة الأمريكية كامنة في السيطرة الكلية لروسيا على صناعة القرار في كازاخستان وضمور التقدُّم الحاصل في طبيعة علاقتها السياسية والاقتصادية والعسكرية مع كازاخستان في السنوات الأخيرة، وكان هناك أمل في أنَّ العلاقات أصبحت أوثق، في كانون الأول من العام 2021 كان مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية لجنوب ووسط آسيا في العاصمة الكازاخستانية لتعزيز حوار الشراكة الاستراتيجية، إذ كان هناك حديث عن إقامة علاقات تجارية طبيعية دائمة بين البلدين، وقدَّمتِ الولايات المتحدة أكثر من (275) مليون دولار مساعدة في جهود كازاخستان للقضاء على أسلحة الدمار الشامل والبنية التحتية ذات الصلة منذ عام 1991، ومن الناحية العسكرية والأمنية فقد شهد التعاون والتواصل بين الجيشين الأميركي

20.. أمريكا مُحذرة كازاخستان: «إذا دخل الروس بيتكم من الصعب جداً إقناعهم بالمغادرة، cnn بالعربية، 7/1/2022، الموقع الإلكتروني:
https://arabic.cnn.com/world/article/2022/01/07/blinken-kazakhstan-russia

21. أمريكا تطالب روسيا بسحب جنودها «سريعاً» من كازاخستان عقب عودة الهدوء، عربي TRT 12/1/2022، الموقع الإلكتروني:www.trtarabi.com/now

والكازاخي جانباً مهماً من جوانب العلاقات الثنائية بين الدولتين. ومنذ عام 2003 تستضيف كازاخستان مناورات عسكرية متعددة الأطراف تركِّز على تدعيم قدرات قوات حفظ السلام، وفي النسخة الأخيرة من هذه المناورات والتي أجريت في جنوب شرق كازاخستان في يونيو/حزيران 2019 شاركت قوات أميركية فضلاً عن قوات من بريطانيا وكازاخستان وطاجيكستان وقرغيزستان مع مراقبين من الهند وتركيا وأوزبكستان[22].

مواقف الدول الإقليمية

- **الصين:**

تابعت الجارة المناصرة للحكومة الكازاخستانية متابعةً مكثَّفةً التطورات السياسية في «نور سلطان» وأيَّدت حزمة الإجراءات التي أعلنت عنها الحكومة الكازاخستانية، وأعلنت عن ثقتِها في تعاطي الحكومة مع تداعيات الأزمة، وطالبت القوى الدولية بعدم التدخُّل في الشأن الداخلي الكازاخستاني حين شدَّد المتحدث باسم الخارجية «وانغ وينبين» خلال مؤتمر صحافي على أنَّ بلاده «تعدُّ ما يحدث في كازاخستان شأناً داخلياً، معربة عن ثقتها بأنَّ السلطات ستتمكن من تسوية الوضع بطريقة صحيحة». كما عبَّر عن أمل «بكِّين» بأن يستقرَّ الوضع سريعاً من أجل استعادة النظام الاجتماعي» وأشار -وَفْق ما نقلت وكالات روسية- إلى أنَّ الصين وكازاخستان تُعَدَّان جارتينِ صديقتينِ وشريكينِ إستراتيجيّينِ[23].

- **تركيا:**

جاء الموقف التركي في حثِّ النظام السياسي الكازاخي على احتواء الموقف والحفاظ على السلام والاستقرار عن طريق تصريح المتحدث باسم الرئاسة التركية على أنَّ بلاده تعطي الأولوية للسلام والاستقرار والهدوء في كازاخستان التي تشهد أزمة سياسية إثر اندلا ع اضطرابات واسعة[24]،

22. Why the U.S. Cares About What Happens in Kazakhstan, Larry C. Napper, US.News, Jan,12.2022:
https://www.usnews.com/news/best-countries/articles/2022-01-12/why-the-u-s-cares-about-what-happens-in-kazakhstan
23.t.ly/IvDN

24. تركيا: سنقف دائماً مع كازاخستان واستقرارها أولوية أساسية لنا، RT عربية، 7/1/2022 الموقع الإلكتروني:
https://arabic.rt.com/world/1312015

تلاه بيان للرئاسة التركية بأنَّ الرئيس «أردوغان أعرب خلال اتصال هاتفي بنظيره الكازاخستاني عن أمله في تشكيل حكومة جديدة وإنهاء التوتر بأسرع وقت ممكن»، وأكَّد البيان على أنَّ «أردوغان أكَّد خلال اتصالات هاتفية بزعماء الدول الأعضاء في منظمة الدول الناطقة بالتركية يشكِّل استقرار كازاخستان وأمنها أهمية كبيرة للمنطقة برمتها وفي مقدمتها دول الجوار»[25].

مواقف دول ومنظمات دولية

- **الاتحاد الاوربي:**

أعرب عن «قلقه العميق» حيال الاضطرابات في كازاخستان، عادّاً إرسال موسكو دعماً عسكرياً خارجياً لهذا البلد «يُعيد ذكريات عن أوضاع ينبغي تجنُّبها».

- **الأمم المتحدة:**

دعت كل الأطراف إلى ضبط النفس وتفادي العنف وتشجيع الحوار.

- **منظمة الدول التركية:**

أعلنت عن دعمها لأجندة الرئيس «قاسم جومرت توكاييف» الإصلاحية الرامية إلى تعزيز «رفاهية شعب كازاخستان الشقيق»، وجاء ذلك في بيان عقب اجتماع طارئ لوزراء خارجية منظمة الدول التركية، وجدَّدتِ المنظمة استعدادها لتقديم الدعم اللازم لإدارة كازاخستان وشعبها للتغلُّب على الأزمة الراهنة، وشدَّد البيان على أهمية تحقيق الاستقرار في كازاخستان وارتباط منطقة (آسيا الوسطى) باستقرارها[26].

- **بريطانيا:**

عبَّرت عن القلق الشديد بشأن الاضطرابات في كازاخستان، وقالت: إنَّ حكومتها تراقب الوضع عن كثب.

25. أردوغان يخرج عن صمته إزاء احتجاجات كازاخستان، SPUTNIK عربية، 6/1/2022 الموقع الإلكتروني: arabic.sputniknews.com/20220106

26. تعلن منظمة الدول التركية دعمها لإصلاحات الرئيس الكازاخستاني في بيان لوزراء خارجية الدول التركية، عقب اجتماع عبر تقنية الفيديو كونفرانس، وكالة أناضول التركية،:www.aa.com.tr/ar/11.01.2022/

- **فرنسا:**

طالبت كل الأطراف إلى ضبط النفس، وقال وزير الخارجية «جون إيف لودريان»» إنَّ هذه الأحداث مقلقة.

- **ألمانيا:**

أوصت الحكومة مواطنيها بعدم السفر إلى كازاخستان في ظل الاضطرابات التي تشهدها حاليا[27].

دور المعارضة

منذ انطلق الاحتجاجات في كبرى المدن الكازاخستانية حاولت المعارضة الخارجية استغلال الوضع، ودعا زعيم حركة «الخيار الديمقراطي لكازاخستان» المحظورة بالجمهورية، المقيم خارج البلاد «مختار أبليازوف» مؤيديه للخروج إلى الشوارع للتصدِّي لقوات الأمن، التي ردَّت على ذلك بإغلاق الساحات المركزية والشوارع المجاورة لها بالمدن الكبرى، وسُجِّلَتِ انقطاعات بعمل «الإنترنت» والاتصالات عبر الهواتف النقَّالة، ومع تطور الأحداث الفوضى والاضطرابات استمرَّ «أبليازوف» في دعوة جماهيره الرافضة للسياسات الدولة وألهمهم في الاستمرار في مسيراتهم إزاء القوات الأمنية مؤكداً حتمية إخضاع الدولة لتلبية مطالبيهم الرامية إلى بناء كيان سياسي وطني يعمل على أساس العدل في إدارة مفاصل الدولة، وأعرب عن قلقه من التدخُّل الخارجي (الروسي) عادّاً دخول أي قوات تحت أي مسمًّى هي ليست سوى قوات محتلة وقامعة لحرية الكازاخستانيين، داعياً الجماهير للوقوف ضد تلك القوات الأجنبية[28].

27. أميركا تراقب والصين تؤيد.. 70 طائرة روسية أنزلت قوات للتدخل بكازاخستان والرئيس يتعهد بسحق الاحتجاجات، الجزيرة نت، الموقع الإلكتروني: www.aljazeera.net/news/politics/2022/1/7/بعد-مواجهات-دامية-رئيس-كازاخستان-يعلن

28 . الجزيرة نت تعرض جذور الأزمة.. كازاخستان تدخل 2022 بـ «ثورة» تحت الرماد، الجزيرة نت، 5/1/2022، الموقع الإلكتروني: https://www.aljazeera.net/news/2022/1/5/

استعادة النظام

بتاريخ 11/1/2022 صرَّح رئيس كازاخستان «قاسم جومارت توكاييف» بأنَّ المرحلة الحاسمة –التي وصفها بـ»عملية مكافحة الإرهاب»– قدِ انتهت، وستبدأ قوَّات حفظ السلام التي طلبتها بلاده من «منظمة معاهدة الأمن الجماعي» بالانسحاب في غضون يومين. وبأنَّ الاضطرابات التي شهدتها بلاده كانت «محاولة انقلاب» تسعى للاستيلاء على السلطة، وتحدَّث –أيضاً– عن رصد هجمات مخطط لها ومنسقة على مبان للسلطات المحلية وأجهزة إنفاذ القانون والسجون. ونقلت وكالة «كازينفورم» الكازاخستانية عنه قوله: «عموماً، انتهتِ المرحلة الحاسمة من عملية مكافحة الإرهاب؛ وعاد الاستقرار لجميع المناطق»[29].

وكانت السلطات الكازاخية طبقاً لما جاء ببيان «لجنة الأمن الوطنية» (كاي إن بي) قد أعلنت بتاريخ 6/1/2022 بتوقيق مديرها «كريم كاجيمكانولي ماسيموف» حليف الرئيس الكازاخستاني السابق نور سلطان نزارباييف والمقرَّب منه البدء بتحقيق معه بتهمة «الخيانة العظمى»، وإيداعه في مركز للتوقيف المؤقَّت مع أشخاص آخرين». وشغل «ماسيموف» منصب رئيس وزراء مرَّاتينِ في عهد «نزارباييف»، وكان رئيس «لجنة الأمن الوطنية» منذ العام 2016.[30]

وبتاريخ 19/1/2022 أعلن قائد القوات الجوية الروسية الفريق أندريه سرديوكوف، الذي قاد عملية انتشار القوات بكازاخستان، وأدار ضم القرم في 2014 عند مغادرته للأراضي الكازاخية عن انتهاء عملية حفظ السلام قائلاً: «يعود إلى الوطن آخر وحدات قوات حفظ السلام وقيادتها، أتمنى للشعب الكازاخستاني السلام والازدهار»، وأشار القيادي العسكري الروسي إلى أنَّ قوَّات حفظ السلام حقَّقت جميع الأهداف المسندة إليها و»لن يُسمحَ بتدبير أي استفزاز بحقهم».

29.t.ly/P4wW
30.t.ly/TMza

وتدخلت روسيا تدخُّلاً سريعاً؛ لمنع الفوضى في كازاخستان، ثم انسحبت بهدوء، موجِّهة **أربع رسائل** لدول الغرب والصين ومحيطها السوفيتي، ووَفْق مختصين بالشأن الروسي. الرسالة الأولى مفادها:

- قدرة القوات الروسية على التحرُّك خارج الحدود.
- تريد موسكو تهدئة الأزمة الأوكرانية.
- وأخرى موجهة للدول السوفيتية السابقة، أصبحت روسيا دولة حفظ سلام ليست عندها أطماع توسعية أو تريد احتلال أراضي الحلفاء.
- أمَّا الأخيرة فتمثَّلت في طمأنة الصين بعد انتشرت تلك القوات قرب حدودها[31].

الاستنتاجات:

- تفرُّد «نور سلطان نزارباييف» بالحكم منذ عام 1989 حتى عام 2019 استطاع خلال تلك الفترة أن يهيمن على كافة مفاصل الدولة واستحوذ على مناصب سياسية وحكومية عديدة، حتى أنَّه نال اسم زعيم الأمة وسُمِّيتِ العاصمة باسمه، واتُّهِمَ بالدكتاتورية الشمولية، وكشفت مصادر إعلامية على استحواذه لثروة خيالية في داخل كازاخستان وخارجها، بناءً على ذلك اتُّهِمَ بسوء إدارة ملف البترول والغاز وعدم توزيع الثروات الوطنية على المواطنين توزيعاً عادلاً.

- مع الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي عام 1991 إلا أنَّ نمطية إدارة الدولة ما زالت مستمرة في إدارة الدولة إدارةً متسلطةً ادكتاتورية، ومع إجراء عديد من الانتخابات في كازاخستان منذ عام 1991 لكنَّها تُعرفُ بعد نزاهتها، وتفتقد للشفافية، إذ لم يكن هناك أي معارضة حقيقية، وإن وُجِدَتْ فكانت صورية أو موالية للحزب الحاكم.

- استقواء النظام بروسيا المؤيدة الدائمة للأنظمة الموالية لها، ومع عدِّ احتجاجات كانون الثاني 2022 هي أولى مظاهر الاحتجاج والانتفاض الحقيقي في كازاخستان إلا أنَّها أثبتت أنَّ في الأوقات الصعبة التي تمرُّ بها حكومات الجمهوريات المستقلة، فإنَّ روسيا ستكون الداعمة والمساندة لها للوقوف اتجاه هذه الأزمات والأحداث، وإنَّها ستوفِّر طاقاتها اللوجستية والعسكرية كافَّة؛ لثبات كيان تلك الأنظمة.

31.t.ly/OWP1

- استطاع الرئيس «توكاييف» إدخال القوَّات الروسية تحت ذريعة قوَّات حفظ السلام التابعة لمنظمة معاهدة الأمن الجماعي بوصف كازاخستان عضواً فعَّالاً في تلك المنظمة، وأنَّها قد وقَّعت على بنود الدفاع الجماعي في حال وقوع عدوان، مع اتهام هذه المنظمة في عدم إقدامها على أي نشاط عسكري مسبقاً، مع أنَّها قد طُلِبَ منها ذلك في عديد من المحطات التاريخية.

- جاء التدخل الروسي للحيلولة دون تكرار التجربة الأوكرانية من حيث تدخُّل القوى المعارضة لها دولياً مثل: (حلف الشمال الأطلسي، والولايات المتحدة) وبهذا فقد بادرت وتفرَّدت بعد مطالبة الرئيس الكازاخستاني بإرسال قوَّات لأراضيها.

- طورت الولايات المتحدة الأمريكية علاقتها مع كازاخستان في الآونة الأخيرة على الأصعدة السياسية والتجارية والعسكرية والأمنية كافَّة، ورأت أنَّ روسيا قد استغلت هذه الأزمة؛ لكي تدخل الأراضي الكازاخستانية بعناوين واهية، وأنَّها أرادت أن توصل رسالة إلى العالم بأنَّ هذه الجمهوريات مع الاستقلالها السياسي فهي ما زالت موالية لروسيا.

- الصين الجارة المتماثلة سياسياً مع كازاخستان هي المؤيدة للحركات الروسية وتسعى إلى إبقاء الوضع السياسي في كازاخستان كما هو عليه الآن، وترفض أي فجوة خلافية تكون فرصة سانحة للولايات المتحدة أن تشارك فيها خصوصاً بعد الأحداث الأخيرة التي جرت في أفغانستان.

- ستكون المرحلة القادمة ما بعد الانسحاب الروسي كاملاً من الأراضي الكازاخية مرحلة ترقُّب وتوجُّس لجميع الأطراف الداخلية والدولية للمشكلة الكازاخستانية .. وتكتيك جديد للسياسة الروسية عبر الرسائل التي ابتغت إيصالها من وراء هذا الانسحاب .

- لم تسجِّلِ القوات الروسية خلال العقد الأخير على الأقل انسحاباً سريعاً من الأراضي التي تدخلت فيها بمثل ما سجَّلته في الحالة الكازاخية .. ولكن يدرك المتابع لتاريخ التدخلات العسكرية الروسية بأنَّه سرعان ما تستبدل روسيا قواتها النظامية بقوات غير نظامية تحت مسمَّى الشركات الأمنية الخاصة لحماية المرافق الحيوية وحقول النفط والغاز والثروات على نحو خاص .. والتي تسهم في حالة من عدم الاستقرار في المناطق التي تتدخل بها، وكثير من الآثار السلبية أينما حلَّت، وعندنا في المشهد الليبي والسوري خير دليل على ذلك (عبر أنشطة شركة فاغنر المقرَّبة من الكرملين والمسجَّلة في إميركا اللاتينية وتعمل بإدارة من أجهزة الأمن الروسية السابقة وعناصرها) .. الأمر الذي ينذر بعواقب غير حميدة إذا ما تدخلَّت تلك الشركات في المشهد الكازاخي مستقبلاً.